

المواطنة: رؤية في جدلية المفهوم

Citizenship: A vision in the dialectic of the concept

د.برحيل سمية، قسم إعلام واتصال، كلية العلوم الإنسانية

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

تاريخ النشر: 2019/09/30

تاريخ القبول: 2019/08/27

تاريخ الإرسال: 2019/07/08

الملخص:

يعدّ مفهوم المواطنة أحد المفاهيم التي عرفت تحولات جوهرية متتابعة عبر التاريخ، بدءا بالتراث اليوناني مع "أرسطو وأفلاطون"، والفكر الروماني مع "شيشرون"، مروراً بعصر النهضة والتنوير مع هوبز وجون لوك ومونتيسكيو وروسو"، إلى جانب "هيجل وإيمانويل كانط"، وصولاً إلى الفكر الفلسفي الاجتماعي والسياسي الحديث، وتعتبر إشكالية المفهوم إحدى الدوائر في جدلية المواطنة، ولقد اكتسب المفهوم دلالات متباينة نتيجة لتطور المجتمع ذاته وخصوصاً المجتمعات الغربية وهو بدوره في تطوره ارتبط أساساً بقيم الحرية والإنصاف والمشاركة والمسؤولية والانتماء، التي يدور حولها سجال علمي وعملي كبيرين، ومن هنا مبعث الاختلاف في المفهوم، الذي هو راجع في الأساس للشطر الذي يُتناول منه ومن أي زاوية يدرس وكذلك السياق، وتبعاً لما يراوده، فتاريخ مبدأ المواطنة هو تاريخ سعي الإنسان من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافؤ الإنساني على وجه العموم.

كلمات مفتاحية: المواطنة. القيمة؛ التاريخ، أصل الكلمة. علم الاجتماع.
السياسية. فلسفة

Abstract :

This article focuses on one of the most problematic aspects of citizenship which is the uses of the concept of 'citizenship', the paper suggests three major reasons why the definition and development of citizenship .We'll try to clarify the concept from historical, political, sociological, and educational angles in order to pinpoint the complexity and contested nature of citizenship "among the concepts that defined the fundamental shifts consecutive through history, from the greek heritage with "Aristote and plato," Roman thought with "cicero", passing through the renaissance and enlightenment with " Hobbes and John Locke, Rousseau , Emmanuel Kant and Hegel," to the modern social and political philosophical thought, and the problematic concept in the dialectic of citizenship, the concept has acquired different Connotations as a result of the evolution of society itself, especially Western societies, which, in turn, evolved mainly linked to the values of freedom, equity, participation, responsibility and belonging, around which the competition of the great scientific and practical, and here is the source of the difference in the Concept *Citizenship* that comes from the Latin word for city, because in the earlier days of human governments, people identified themselves as belonging to cities more than countries. Citizenship is more than merely living somewhere. If you have citizenship, you have a whole set of rights, citizenship emphasise duties and obligations above and beyond notions of liberty

Key words : citizenship; value ; history; etymology; sociology; political; philosophy.

د.برحيل سمية، أستاذة محاضرة قسم "ب"، soumia.berrahil@yahoo.fr ،

قسم إعلام واتصال، كلية العلوم الإنسانية،، جامعة وهران1 أحمد بن بلة

مخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات، جامعة وهران2 محمد بن احمد

تمهيد

مفهوم المواطنة الذي شهد تغييرا جذريا في استخداماته ومضامينه، قد لحقه التطور والتحول والاختلاف، فالمواطنة التي بدأت في العصر اليوناني قبل الميلاد ليست هي نفسها التي كانت موجودة في فترة العصور الوسطى، وكذلك اختلفت عن تلك الممارسة المفاهيمية التي عرفتها أوروبا بعد الثورة الفرنسية، والتي بدورها تختلف عن المفهوم المعاصر للمواطنة، ففي كل حقبة تاريخية إنما يعبر المفهوم عن التركيبة الثقافية والسياسية والأخلاقية والرمزية لتلك الفترة، فمفهوم المواطنة تفاعلي ممتد عبر الفضاء العمومي، فهو اليوم لم يعد يشير إلى علاقة المواطن بالوطن فحسب، بل تعدى ذلك إلى كونه مفهوما مجتمعيا شاملا متعدد الأبعاد ويتم طرحه على مختلف المنابر والمنصات ... وتبرز أهمية المواطنة من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة بكل مجتمع وأمنه واستقراره، وصيانتها من التهديدات والتحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، محليا وإقليميا وعالميا، ومن ثم فإن مختلف الأطراف تدعو إلى تبني فلسفة يتم من خلالها إكساب الأفراد المعارف والقيم والاتجاهات من خلال عدّة من المهارات التي يستطيعون من خلالها تحقيق مقومات المواطنة الصالحة التي تعود بالفائدة على الصعيد الفردي والجماعي .

1- مساءلة مفهوم المواطنة:

اختلفت الدراسات وآراء الباحثين حول التحديد النهائي والمتفق عليه لمفهوم المواطنة، إذ لا يمكن استيعاب المفهوم إلا إذا وضع في سياقه التاريخي، وأساس هذا الطرح مبني على الافتراض النظري القائل بأن المعنى لا يتضح إلا بتسويقه أو سيفنته (من السياق)، فالمفاهيم لا تنشأ من فراغ ولا تنتشر إلا بعد ممارسات وتراكمات معرفية وفكرية، والمواطنة بدورها كلمة تتسع للعديد من التعريفات كما سبق وأن أشرنا في التمهيد، خصوصا في غمرة هذا الاهتمام المتزايد بالمفهوم محليا، إقليميا ودوليا كمتغيّر وميكانيزم، بالتالي أضحي من المشروع أكاديميا الوقوف على المواطنة مفاهيميا من حيث المنطلق والمرجعية البنيوية، وخاصة أنّ البيئة التي نعيش فيها قد أفرزت العديد من المفاهيم

الأخرى جراء التغيرات والتحوّلات التي عرفتھا على مرّ الأزمنة، مما مهّد للدراسات النقدية أو المساءلة المفاهيمية النقدية، لأنّ الوضع الدراسي أو التحديد الإجرائي صار أكثر تعقيدا بفعل تداخل وتفاعل عديد المفاهيم مع بعضها البعض ومن تمّ أضحى الوقوف على أصلها وفحواها يستوجب الاستناد إلى مقاربات متعدّدة الاتجاهات ذات طابع تكاملي غير اختزالي .

1-1 رؤية تاريخية في المفهوم :

يعود أصل كلمة المواطنة ومدلولها إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة، ذلك أن الكلمة ارتبطت بالدولة أو المدينة اليونانية آنذاك (polis) *، وإن أقرب معنى للمفهوم المعاصر في التاريخ القديم هو ما توصّلت إليه المدينة عند الإغريق، والذي شكّلت الممارسة الديمقراطية نموذجا له¹، بحيث كان المجتمع الإغريقي القديم مجتمعا هرميا يستقرّ في قاعدته طبقة العبيد، وكانت محرومة من ممارسة حقوق المواطنة لأنها كانت أدنى الطبقات آنذاك، وتلي العبيد طبقة الأجانب المقيمين من أجل الاقتصاد والتجارة ومزاولة الحرف اليدوية، وكانت تزخر بهم المدن اليونانية، وكانت القوانين لا تسمح لهم بالحصول على الجنسية الإغريقية ،وبالتالي لم تكن مكانتهم مميزة كثيرا عن مكانة العبيد تمّ يأتي على رأس الهرم طبقة المواطنين الأحرار، وكانت صفة المواطن الحر في المدينة الدولة تعدّ امتيازًا خاصا يحيز عليه بحكم المولد، وصفة المواطن كانت تتيح لحاملها حقوق المشاركة في الحياة السياسية²، وفي الحقيقة هنالك شبه اتفاق عام بين

* En Grèce antique, la polis (en grec ancien πόλις / *pólis* ; « cité » dans l'étymologie latine « *civitas* » ; au pluriel *poleis*) est une cité-État, c'est-à-dire une communauté de citoyens libres et autonomes¹. Dans la pensée grecque antique, la cité préexiste à l'homme. À titre d'exemple, la cité d'Athènes n'existe pas en tant que telle : c'est la cité des Athéniens, tout comme Sparte est la cité des Lacédémoniens.

Comme le formulait Aristote, la cité est une communauté — une *koinônia* — « d'animaux politiques » réunis par un choix — *proairésis* — de vie commune <https://www.merriam-webster.com/dictionary/polis>

¹ David Miller, The blackwell Encyclopedia of political thought, Oxford, UK, 1995, P74

² جورج سباين، تطوير الفكر السياسي، تر حسن جلال العروسي، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص 05

المؤرخين بأن الإغريق القدامى كانوا أول من وضع وأرسى معظم المفاهيم كالمواطنة والدراما والأكسيولوجيا (علم القيمة)... إلخ -بالمعنى البدائي البسيط لها-، وساهمت جملة من المتغيرات والتحويلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والرمزية في تطوير هذه المفاهيم وإضفاء ممارسات جديدة عليها، وفي الآونة الأخيرة رجعت المواطنة بقوة، ونرى الاهتمام بالمفهوم والممارسة .

2-1 تعريف المواطنة حسب السند اللغوي

في اللغة العربية تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (citoyenneté) المشتقة من المدينة (cité)، والمدينة بناء حقوقى للمكان ومشاركة سياسية واجتماعية، وتقابلها بالانجليزية (citizenship) المشتقة من مفهوم المواطن (citizen)، أي ذلك الفرد الذي تخاطبه القوانين والدساتير، والتي تصرّ على الحرية والمساواة بين الأفراد أمام القانون، بغض النظر عن الجنس أو الدين، أو العرق، أو الطبقة الاجتماعية³.

ودوما من الباب اللساني العربي جاءت المواطنة من: واطنه على الأمر مواطنة، وواطن القوم عاش معهم في وطن واحد، والفعل واطن بمعنى شارك في المكان مولداً أو إقامة، لأن الفعل على وزن فاعل⁴، هذا الوزن الذي يعني في أصول النحو اشتراك طرفي المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، فيكون البادئ فاعلاً صريحاً والثاني مفعولاً صريحاً، ويحيى العكس ضمناً أي: إن الغرض من ألف المفاعلة اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ، أي الاشتراك فيهما من حيث المعنى⁵.

وكلمة "مواطن" اسم فاعل مأخوذة من (واطن) وهو فعل رباعي مشتق من الفعل الثلاثي (وَطَنَ) معناه سكن، وَقَطَنَ وَأَمِنَ في مكان ما على بقعة من الأرض - البيت والقرية والمدينة أما المصدر فهو مواطنة صفة صيغت بصيغة

³ عبد الجليل أبو المجد، مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دت، ص 11(بتصرف)

⁴ محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، شذا العرف في فن الصرف، ص 725

⁵ نجا عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 54

دالة على والمشاركة⁶، وعن الوطن قالت أمنة حجازي: "الوطن بأنه بشكل عام الأرض التي تعمورها الأمة، وبشكل خاص هو المسكن فالروح وطن لأنها مسكن الإدراكات، والبدن وطن لكونه مسكن الروح، والثياب وطن لكونها مسكن البدن، فالمنزل والمدينة والدولة والعالم كلها أوطان لكونها مساكن⁷ ، أما الباحث عبد الكريم غلاب فكتب في مرجع " أزمة المفاهيم " عن المواطن وقال: "إن المواطن يأخذ جذره من الوطن، الذي يمنح المنتهي إليه الإقامة والحماية، وأن البلاد التي استقامت فيها المواطنة بمفهومها الوطني والإنساني سارت الحياة فيها نحو الأسى ، والمواطنة لا تستقيم في مجتمع مختل التوازن⁸.

وجاءت أيضا المواطنة من الموطن، والجمع مواطن، وهو محلّ الإنسان والمنزل الذي يقيم فيه ومن ذلك وطن المكان، وأوطنه: اتخذه وطنا، يقال: أوطن فلانا أرض كذا وكذا، أي اتَّخذها محلاً و مسكناً يقيم فيه⁹، والجدير بالذكر أنه لم يرد الفعل "واطن" في الاشتقاق والاشتقاق الذي اشتق منه اسم الفاعل "مواطن" والذي مصدره القياسي "مواطنة"، وفي "المعجم الوسيط": الوطن: مكان إقامة الإنسان ومقرّه، ولد به أو لم يولد...¹⁰، الوطن هو البلد الذي يقيم فيها الإنسان ويتخذها مستقراً له، ولذلك فهو شبيه بالمنزل، فالمنزل هو المكان الصغير الذي يسكن فيه فرد مع أسرته، والوطن هو المنزل الكبير الذي يضم عدداً كبيراً من الأفراد والأسر، ومما استدركه شارح القاموس على القاموس:

⁶ انظر محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 725

⁷ أمنة حجازي، الوطنية المصرية في العصر الحديث، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 80

⁸ غلاب، عبد الكريم، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، بيروت، 2011، ص 65

⁹ محمد بن منظور، لسان العرب، المجلد 13، دار صادر، بيروت، 1968، ص 338

¹⁰ المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة صدر: 1379هـ/1960م، على الموقع الإلكتروني

<http://www.almougem.com/mougem/search/%D8>

توطنه وتوطن به ¹¹، وفي الشعر أمثلة كثيرة عن التمسك بالوطن ومن ذلك قول الشاعر أبو تمام :

كم منزل في الأرض يسكنه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل**

وفي اللوح المحفوظ، بعد بسم الله الرحمن الرحيم "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ..." * وأوطنت الأرض ووطنتها واستوطنتها أي اتخذتها وطنا، و توطين النفس على الشيء ، كالتمهيد ¹² ، تعويدها وإيلافها .

أما الموسوعة العربية العالمية فتحدد مفهوم المواطنة بأنها "اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن ¹³. من هنا نستنتج بأن المواطنة كلفظ في أصله العربي مرتبط بوطن الفرد أو موطنه ، ومستقره وانتمائه الجغرافي .

أما موسوعة كولير الأمريكية تعرف المواطنة بأنها أكثر أشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالا ¹⁴ ، ولقد كانت هذه الجماعة السياسية ضيقة بحكم الوطن الذي كان في أول الأمر يتعلق بالقرية أو المدينة ، ثم تطورت حياة البشر وعلاقاتهم فتكونت أوطان أكبر من ذلك ، ومن هنا ومن مأخذ موسوعة كولير لمفهوم المواطنة فإن الفكرة أساسا تقوم على حاجة الإنسان إلى المكان والارتباط به والانتماء له ، وهذا أمر طبيعي جبل عليه البشر، فكل كائن حي

¹¹ الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، ص (1596)
** أبو تمام أحد شعراء العصر العباسي (803م-188هـ) ، قصيدة " البين جرعني شبع الحظلي " وهي من أشهر قصائده من مؤلفات الشاعر فحول الشعراء ، ديوان شعره ، نقاض جريروا الخطل ، مختار أشعار القبائل ، ديوان الحماسة من أشهر أبياته كذلك مدح المعصم في فتح صمورية : السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
* بسم الله الرحمن الرحيم : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّحِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُبُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » (النوبة:25-26)

¹² ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سبق ذكره، ص 451 .

¹³ الموسوعة العربية العالمية، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996 ص 311

¹⁴ العبيدي صونيا ، المجتمع الوطني : المواطنة والديمقراطية – جدلية المفهوم والممارسة – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العددان الثاني والثالث ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، جانفي – جوان 2008، ص31(بتصرف)

الوطن هو القضية وهو الأصل، فإن كلمة المواطنة يحتويها إطار أوسع وهو الدولة الوطنية¹⁸.

1-3 مفهوم المواطنة من مختلف الزوايا المعرفية :

أدى تباين الأدبيات والحقول الابدستيمولوجية التي تهتم بمفهوم المواطنة (علم الاجتماع، والسياسة وعلم النفس والانثربولوجيا والقانون والشرعية)، إلى إثراء هذا المفهوم وشحنه بحمولة معرفية غنية لكن لا ننكر أن هذا التنوع خلق في الوقت ذاته صعوبة منهجية وعلمية تحول دون نظم مفاهيمي دقيق و محدّد و يحظى بتوافق جميع دوائر البحث الأكاديمي .

أ- المفهوم السوسيولوجي للمواطنة :

لقد اهتمت السوسيولوجيا كباقي العلوم الاجتماعية بمسألة المواطنة وذلك باعتبارها وسيلة اكتساب المكانة الاجتماعية وشرط ضروري لها¹⁹، حتى يصبح الفرد معترفا به كفاعل في الحياة الاجتماعية²⁰، ويعرف بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية المواطنة على أنها مجموعة الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على بعض الحقوق السياسية والمدنية نتيجة انتمائه إلى مجتمع معين²¹، وعليه في الوقت نفسه أن يؤدي بعض الواجبات، وانصبت جهود الباحثين في هذا الميدان على مسألة الرابط الاجتماعي، وعلى الكيفية التي يتمكّن الأفراد من خلالها الانخراط في كيان اجتماعي والمجسّد في التمثلات* والانتماءات الجماعية.

¹⁸ عاطف الغمري، المواطنة والهوية الوطنية، جريدة الأهرام المصرية، العدد 43920، السنة 131، 2007،

¹⁹ Colman J, L'individu dans la théorie politique et dans la pratique
PUF, Paris ;1996 ;P259

²⁰ Shnapper .D ,la communauté des citoyens sur l'idée moderne de
nation ,Gaillimard ,Paris 1994 ,P14

²¹ محمد عاطف غيث ،مصطلحات العلوم الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة، 2009، ص56
*التمثلات اقترنت بالمعطيات الاجتماعية وهي شكل من أشكال المعرفة المتطورة والمؤرخة اجتماعيا ، لها هدف تطبيقي يساهم في بناء حقيقة موحدة لمجموعة اجتماعية ،أما في نظر موسكوفسكس فالتمثل نسق من القيم والمفاهيم، السلوكيات المرتبطة بسات و مواضيع يحدّد معالمها الوسط الاجتماعي (للاستزادة المرجعية انظر : Denus Jodet ,Les

كما تطرق أرسطو إلى مفهوم المواطنة من المنظور الاجتماعي، باعتبارها طريقة من طرق فهم العلاقة بين المدينة أو نظام الحكم والمواطنين، فالمواطن حسبه هو الفرد المولود من أب وأم مواطنين، ولقد عمل فلاسفة عصر التنوير على الدعوة إلى الحكم بالقانون والمساواة أمامه ونشر فكرة العقد الاجتماعي، واعتبروا أن حقوق الإنسان هي حقوق طبيعية في المساواة والملكية وأن المواطنة حق للجميع ، ويرى "مالك بن نبي* :بأن المواطنة تقاس بدرجة ممارسة الفرد وتمثيله، وهي تعبير عن الامتثال للامشروط لقيم الولاء ، بحيث يتّضح مظهرها الفعلي في الضمير الجمعي قبل أن يكون شكلا من أشكال الأنا²²، كما جاء في تعريف قاموس علم الاجتماع على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ،ومن خلال هذه العلاقة يقدّم الطرف الأول الولاء ، ويتولى الطرف الثاني الحماية و تتحدد هذه العلاقة عن طريق

representations Sociales,Phénomène Concept Et Theorie psychologie sociale
:Paris,1984,P69

المفكر الجزائري مالك بن نبي، من مواليد الفاتح من يناير 1905 بمدينة قسنطينة ، أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، نشأ في منطقة ذات حضور فرنسي ضعيف نسبيا، مما أتاح له فرصة تلقي الدروس في المسجد بالإضافة إلى مدرسته الفرنسية، أكمل دراسته في فرنسا وعاش فيها لفترة، ثم عاد إلى الجزائر وقضى فترة من حياته في القاهرة ،عمل مالك بن نبي في التعليم والسياسة، ثم تحول كليًا للعمل الفكري ، عدم محدودية نظر بن نبي ونضوجه الفكري جعلاه يربط ثقافته الإسلامية بالقضايا المجتمعية المحيطة به؛ لذا نجد أن أفكاره جمعت بين الفلسفة الإسلامية والغربية، وركزت دائما على البناء والنهضة ، مشكلات الحضارة هي الرابط بين كل مؤلفات بن نبي، إذ كان مهموماً بإيجاد مخرج للأمة الإسلامية من المنحدر الذي تعيشه. غاص بن نبي عميقاً في المشكلة ونادى دائماً بالرجوع لأصل الفكرة ومنبت الحضارة وهي الفترة النبوية، في كتابه شروط النهضة تلمس بوضوح تأثير بن نبي بفكر ابن خلدون في مسألة اطراد الحضارة وذلك بمقياس القيم النفسية والاجتماعية، بأخذ النموذج الإسلامي؛ عندما قسمها إلى ثلاثة أقسام، تبدأ بتلبية الاحتياجات الروحية التي وفرتها الفكرة الدينية (الإيمان)، التي بدورها تعمل على تنظيم الغرائز في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة، يستعرض بن نبي القيم الاجتماعية المصاحبة للنمو النفسي الروحي ، لطالما كانت الأفكار مقدسة عند بن نبي ، فيقول أن المجتمع المتخلف ليس موسوم حتماً بنقص في الوسائل المادية (الأشياء)، وإنما بافتقاره للأفكار وركز كذلك ركن بن نبي على الإنسان كقيمة فاعلة في البناء، وقال: "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ" لمعلومات أوفر راجع :

<http://inkitab.me> تناظر حسن ، من فكر-مالك بن-نبي-في-مشكلات-الحضارة ،22ديسمبر 2016

²² أبو الفتح بوهيرة. قيم المواطنة وعلاقتها بتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطالب الجامعي ،دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة ، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ،ص30

القانون²³، في حين ربط "إيميل دور كايم" فكرة المواطنة في كتاباته بفكرة الضمير الجمعي، والتي تعدّ أحد أكثر المفاهيم التي تركّز على مبدأ القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي لأفراد المجتمع، وهو يركّز في طرحه، على أن كل نظام اجتماعي إنما هو نابع عن التزام والذي يعدّ أحد أركان المواطنة وقيمها ومقوماتها، وصفوة القول بأن المواطنة من المنظور الاجتماعي قائمة على مبدأ التبادل أي مجموعة من الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والكيان الاجتماعي المنتمين إليه مفهوم آخر الدولة، فالشخص يحصل على بعض الحقوق السياسية والمدنية نتيجة انتمائه إلى الجماعة، وعليه في الوقت نفسه أن يؤدي بعض الواجبات، بمعنى أنها تشتمل على العلاقة بين الأفراد والدولة، مع الامتثال للحقوق والواجبات، كما تنطوي كذلك على صفات المواطن ومسؤولياته، وتتميز المواطنة بوجه خاص بالانتماء إليه وخدمته، والتعاون مع الآخرين من أجل تحقيق أهداف المجتمع المنتسبين إليه، وتتضمن مستوى عالياً من الحرية مصحوباً بالعديد من المسؤوليات²⁴، الذي يكون من خلال وجود مجموعة مشتركة من القيم، والأفراد يحققون الالتزامات كمواطنين، وأعضاء في النظام الاجتماعي، والمقصود هنا أن الفرد يمارس الواجبات

²³ محمد عاطف غيث ،قاموس علم الاجتماع ،دار المعارف الجامعية ،الإسكندرية ،1995،ص56
' إميل دوركايم فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن واحد ولد بفرنسا سنة 1858 و توفي بباريس سنة 1917، ويعتبر ورثته للنظرية الوضعية ومن رواد الحركة العلمية في عصره، شغفه بعلم الاجتماع، هو الذي جعله يسافر إلى ألمانيا حيث تتلمذ على أقطاب مفكرها أمثال "شولر" و "فونت"، وشغل كرسي علم الاجتماع والتربية بجامعة بوردو و السوربون. وقد ترك دوركايم مؤلفات و حوث كثيرة، نشر بعضها في حياته، نشر أتباعه البعض الآخر بعد وفاته، تبنى إميل دوركايم الطرق والغايات، فبالنسبة إليه: الطرق هي التي تأخذ العلوم الطبيعية نموذجها، والملاحظة للتعرف على قوانين و وظيفة و تحول المجتمعات، واعتبار الأحداث الاجتماعية كاشياء تكشف من خلال الرموز الموضوعية . أما الغاية فتتمثل في التعرف على الاضطرابات و الاختلالات الوظيفية المحتملة. يعد المجتمع في تصور دوركايم، ذلك "الوعي الجماعي" الذي يعتبر من الألفاظ المعروفة في سوسيولوجيا دوركايم، والأحداث الاجتماعية هي عبارة عن أشياء أو أمور أخلاقية، إذ ليس هناك مجتمع مجرد من جسم القوانين والممنوعات و المقدسات.

لوافر من المعلومات عن العالم وفكره الفلسفي الاجتماعي راجع :

Durkheim Emile , éducation et sociologie, 4ème ,PUF,Paris, 1982,

²⁴ أحمد زكي بدر ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ،بيروت ، 1986، ص 60

المفروضة عليه، التي تمّ التعرف عليها و تحديدها²⁵، وهي حسب تصوّر الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني هابرماس* منتج تاريخي في طور الانجاز²⁶، وهذا ما يوحي بمرونة المفهوم و حركيّة مقوّماته باختلاف الفضاء العمومي والسياق الزمني .

ب- مفهوم المواطنة بالمنظور السياسي :

المواطنة بمفهومها السياسي هي عقد اجتماعي بين المواطن - الفرد - والدولة بما تحمله من مؤسسات تشريعية وتنفيذية وقضائية وإدارية، وبذلك تكون العلاقة علاقة مشاركة بين الطرفين بأسلوب حضاري وتنظيمي، بالتالي المواطنة في العرف السياسي هي علاقة بين الفرد والدولة يحددها الدستور بما ينصّ عليه من حقوق وواجبات للوطن، وتعرّف الموسوعة السياسية المواطنة بأنها: صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن²⁷، بمعنى أنها شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة اجتماعية لها ثقافة وتاريخ ومصير مشترك، ويُنظم هذا الشعور اجتماعياً وقانونياً وسياسياً، ويساهم الفرد من خلال هذا الانتماء بشكل فاعل في الحياة الاجتماعية ومؤداه حب وإخلاص المواطن للوطن، وخدمته له في أوقات السلم والحرب²⁸، وتشمل المواطنة مفهوم الانتماء إلى الكيان السياسي، والذي يعني انتساب الفرد لفضاء اجتماعي وسياسي، يكون مندمجا من خلاله، شاعرا بالأمان في أرضه، محبا له، ومعتزا بهويّته، فخورا بهذا الانتماء له، وفي ذات

²⁵ فيليب جونز ، النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية ، ترجمة محمد ياسر الخواجة ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010، ص57

***يورغن هابرماس** بالألمانية " Jürgen Habermas " فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر ولد سنة 1929 في غومرسباخ، وهي مدينة صغيرة تقع قرب مدينة كولون الواقعة غرب ألمانيا واحد من أهم منظري مدرسة فراينكفورت النقدية(هوركهيمر، أدورنو، ماركوز، إريك فروم) ، وأكثرهم شهرة وأغزهم إنتاجا، فقد بلغ مجموع مؤلفاته قرابة خمسين كتابا تدور حول مواضيع شتى في الفلسفة السياسية والعلوم الاجتماعية، وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي، <http://midan.aljazeera.net/intellect/philosophy/2017/2/>

²⁶ كرومي أحمد، مرجع سبق ذكره ، ص 19

²⁷ علي الدوسري ، الوطن والمواطنة ، مرجع سبق ذكره ص19

²⁸ علي الدوسري ، المواطن والمواطنة ، المرجع نفسه ، ص16

الوقت منشغلا بقضائيه، وعلى إدراك بمشكلاته، وملتزما بقوانينه وقيمه، ومراعيا للصالح العام، ومحافظا على مصالحه وثرواته، غير متخل عنه في أوقات الأزمات والمحن مما يوحي بأن المبدأ الذي تقوم عليه المواطنة هو التقارب، بين الفرد والمجتمع، وبين الأفراد وبناءاً عليه فالمواطنة علاقة الفرد بدولته، علاقة يحددها الدستور والقوانين المنبثقة عنه والتي تحمل وتضمن معنى المساواة بين من يسمون مواطنين، ولقد نشأ المفهوم الحديث للمواطنة في كنف الدولة الحديثة، وتطور معها، والتي تعتبر نفسها مطلقة داخل حدودها، وإن أوامرها نافذة على كل من يقطن داخل تلك الحدود الجغرافية، ولكن من أجل منع استبداد الدولة، وسلطانها، فقد نشأت فكرة المواطن، الذي يمتلك حقوقا غير قابل للنتزاع من قبل الدولة، تتعلق هذه الحقوق بالمساواة والمشاركة السياسية في اتخاذ القرارات، وحقوق جماعية متصلة بالشؤون الاجتماعية والثقافية والاقتصادية²⁹، ويرى ايمانويل كانط* بأن الفرد المستقل هو مواطن إيجابي وهو وحده يملك حق التصويت، أما الفرد غير المستقل، والذي يقوم بخدمة الآخرين ويدين بالتالي بوجوده إلى إرادة شخص آخر فهو مواطن سلبي ليس له شخصية مدنية، وعليه يقصى من المشاركة

²⁹علي محمد محمد الصلاحي، المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، دار ابن كثير، بيروت 2014، ص 28

*Emmanuel Kant : Philosophe Allemand (1724-1804) fondateur de la philosophie critique

Quelques œuvres de Kant :

- Histoire universelle de la nature et théorie du ciel (1755),
- De la forme et des principes du monde sensible et intelligible (1770),
- Critique de la raison pure (1781),
- Prolégomènes à toute métaphysique future (1783),
- Réponse à la question "Qu'est-ce que les Lumières ?" (1784),
- Idée d'une histoire universelle au point de vue cosmopolite (1784),
- Fondements de la métaphysique des mœurs (1785) ,
- Critique de la raison pratique (1788),
- De l'usage des principes téléologiques en philosophie (1788)
- Critique de la faculté de juger (1790),
- Métaphysique des mœurs (1797),
- Logique (1800).

السياسية³⁰، وهذه النظرة الاستقلالية المشبعة بالرؤية التحررية تتفق إلى أبعد الحدود مع أهم القيم التي سنخضعها لبؤرة الضوء في العتبة الميدانية للبحث، بحيث كل المشاهد واللقطات المجسدة في العمل الدرامي حيّز البحث هي سعي لبلوغ مرتبة الاستقلالية على جميع الأصعدة وعدم الإدانة لأي طرف بالوجود، استقلالية تستهل من أبسط الحقوق ألا وهي استقلالية البطون، وألا يدينون بملأ بطونهم لأي طرف كل أبطال الحريق كانوا يسعون للانعتاق من أجل استحقاق لقب مواطن، بانتمائهم للأرض والذي يعدّ أساس المواطنة وشرطها المحوري، قدّم كانط نموذجا خاص به، للمواطن المستقل وهو الفنان والمؤلف والحرفي، باعتبار هؤلاء لا يدينون بوجودهم لأي شخص آخر، ولأنهم يمتلكون رأس مال معنوي والذي يتمثل في مهارتهم الخاصة (الفن، العلم والحرفة³¹)، كما اهتم العالم والفيلسوف كذلك بقيمة المساواة كقيمة مركزية من قيم المواطنة وأكد على ضرورة تساوي الأفراد أمام القانون، فجميع الأفراد أحرار ومتساوون أمام القانون، فليس ثمة قانون للفقراء وآخر للأغنياء، بالتالي فلسفة كانط السياسية علّقت الاستقلال كشرط أساسي للتمتع بالمواطنة وقيامها، والسير نحو انتزاع الاستقلال أول لبنة في تشييد قيم المواطنة .

والمفهوم السياسي الحديث للمواطنة يعتمد على الاتفاق الجماعي القائم على أساس التفاهم من أجل تحقيق ضمان الحقوق الفردية والجماعية، كما أن المواطنة في الأساس شعور وجداني من خلال الارتباط بالأرض، وبأفراد المجتمع الآخرين الساكنين على الأرض، وهي -بهذا المعنى- لا تتناقض مع الانتماء، لأن المواطنة عبارة عن رابطة بين أفراد يعيشون في زمان ومكان معين، أي جغرافية محددة، والعلاقة الاجتماعية تعزز المواطنة، بالتالي هي شعور وممارسة يتعمّقان لدى الفرد عندما يكون فعالا في الكيان الاجتماعي المنتسب إليه ومع

³⁰ Gérard Raulet, Histoire et citoyenneté, PUF, Paris, 1996, P223

³¹ محمود سيد احمد ،دراسات في فلسفة كانط السياسية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1991،ص 47(بتصرف)

أفراد مجتمعه، لذلك المواطنة الفعالة تتمفصل من التاريخ المشترك والمعتقدات والمشاعر ...

و في فحوى المفهوم بالمنظور السياسي فإن المواطنة هي علاقة فرد ودولة ،كما يحددها قانون تلك الدولة ،وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في ذلك الكيان وهي تكفل للمواطن حقوقا سياسية مثل :

- حق الانتخاب، وتولي المناصب العامة
- عضوية كاملة في دولة، أو في بعض وحدات الحكم
- انتساب الشخص لدولة معينة فهي رابطة بينه وبينها .

ج- المفهوم القانوني للمواطنة :

المواطنة مفهوم قانوني في المقام الأول يرتبط بالمواطن ككائن اجتماعي له حقوق وعليه واجبات تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن معين ،مع الالتزام بالواجبات العامة ،والحفاظ على الممتلكات العامة والدفاع على أرض الوطن وغيرها من الواجبات الأخرى ،وبمعنى آخر المواطنة هي علاقة بين الفرد والدولة يحددها الدستور والقوانين المنبثقة عنه ،والتي تضمن بالضرورة المساواة في الواجبات والحقوق³² ، ومن هذا الرصف القانوني للمفهوم نستنبط بأن المواطنة بالرؤية القانونية تقوم على شرطين أساسين مفادهما :

- الدولة الوطنية ،ويستتبع ذلك من إقامة مجتمع عصري يقوم على إرادة العيش المشترك بين مواطنيه، الركائز المتعلقة بالتوازن بين الحقوق والواجبات

يعرّف "علي خليفة الكواري" : المواطنة من هذا الجانب ويقول بأنها تمثل علاقة الفرد بدولته وفق الدستور السائد فيها والقوانين التي تنظم العلاقة بينهما من حيث الحقوق والواجبات³³ ،وقد ربط هذا التعريف مفهوم

³² عبد الجليل أبو المجد ،مفهوم المواطنة في الفكر العربي الاسلامي ،افريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،دت ،ص 13

³³ منير مباركية ،مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2013 ، ص 72

المواطنة بأمور الدستور وما سطره للمواطن من خلال ما يملكه من مواد تضمن حقوق المواطن وتبرز واجباته .

ويؤكد "براين تيرنر" أن المواطنة هي الهوية القانونية التي تحدّد وضعية الأفراد ومكانتهم داخل الجماعة السياسية ،من خلال وصفهم أعضاء مكوّنين لهذا المجتمع ،ومن خلال هذا الوصف يكون الفرد متمتعاً بحقوق معيّنة مضمونة له ومفروضا عليه واجبات في إطار ثقافة مدنية، وهنا تم ربطها بمجموعة من القيم أو ما يعرف بفضائل مدنية، ومن خلال الغوص في هذه النقطة يتّضح جليا أن المقصود بالمواطنة من خلال هذا الإطار، أن الفرد أو المواطن متعلق ومرتبّط بقانون معين يضمن له حقوقا ويفرض عليه واجبات، إذا التزم بها عاش منتميا لمجتمعه وضمن حقّه المشروع، والتزام الواجبات إذن يكفل الحقوق ولا يجعلها متعدّاة من طرف الآخرين .

ويضيف "همفري مارشال" بأن المواطنة هي: الاعتراف للفرد بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية ، ولا تقتصر على اعتراف شكلي للوضعية القانونية³⁴، بل اعتراف فعلي وفعال مبني على الممارسة.

ومن خلال هذه النقطة تتحدّد فكرة أكثر وضوحا ،بأن المواطنة تجعل الفرد معترفا له بحقوقه، وبالبحت عن أنماط الحقوق والواجبات نجد السياسية منها، المدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فتنتطوي الحقوق المدنية على كل الحريات الشخصية، والحق في الأمن والأمان، والخصوصية والاجتماع والحصول على المعلومات، فضلا عن حرية الاعتقاد والتعبير، وفي قلب الحقوق المدنية نجد حرية تشكيل التنظيمات المدنية ،كالأحزاب والنقابات غير الحكومية وحرية الانتقال والحركة والمقاومة السلمية ، والحق أيضا في المحاكمة العادلة، وهي نقطة كافلة إذا مدنية المواطن والفرد بصفة عامة، فتمنحه فرصة المشاركة في كل نواحي الحياة بعدما كفلت له الأمن

³⁴ أبو الفتوح بوهريرة ،قم المواطنة وعلاقتها بتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطالب الجامعي ،مرجع سابق
ص30،

الذي يحتاجه، ليمد بالعطاء مجتمعه، فالأمان عنصر ضروري، فأينما تكون أمنا تكون لك الفرصة للتقديم أكثر والعطاء بوتيرة مرتفعة والعكس صحيح، حيثما تكون غير مطمئن تقل قدرات الفرد إبداعيا، أما عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، فلا تقتصر على الملكية، لكن تمر إلى الحقوق المرتبطة بممارسة العمل مثل الحصول على أجر عادل، وعطلة دورية، والحق في الإضراب السلمي والتفاوض الاجتماعي، في حين تشمل الحقوق السياسية كل من الحق في الانتخاب والترشيح والتنظيم، فحق الفرد من خلال مشاركته في الانتخاب تصويتا وترشيحا في حين تبقى الواجبات، دفع الضرائب المستحقة، وفقا للإجراءات الضريبية المعمول بها في الدولة³⁵، وفي المنحى القانوني دوما تشير "دستين" بأن المواطنة هي التمتع بالحقوق والفرص والواجبات، كمواطنين بينما يتعلّق الثاني بالعضوية في المجتمع وما تتطلبه من ضرورة السلوك تبعا للواجبات والتعهدات والحقوق التي يتمتع بها المواطن،³⁶ أمّا مفهوم المواطنة من منظور القانوني الجزائري فلم يحسم فيها بصفة قطعية بحكم أن الكيان السياسي والاجتماعي الوطني هو الآخر قد عرف مراحل انتقالية، وخلق هذا التنوّع والتحوّل انقسام في تحديد مفهوم المواطنة حيث تظهر عدّة رؤى للمفهوم في الجزائر، وهذا حسب أشكال المشاركة في الفضاء العمومي و تسيير الشؤون العمومية و أشكال التعبير عن الوحدة الوطنية³⁷، نصّ الدستور الجزائري على حقوق الفرد القانونية والدستورية التي يحميها المشرّع بكافة الضمانات والوسائل ، منها الحق في التعليم والعلاج أو ما كان يسمى بمجانية التعليم والطب المجاني،

³⁵ سامح فوزي ،المواطنة ،ط1،مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ،القاهرة ،2007،ص 10-11

³⁶ زينب بنت محمد الغريبة ،إستراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة ،مجلة تنمية الموارد

البشرية ،العدد 11،سلطنة عمان ،ديسمبر 2015،ص 13

³⁷ محمد إبراهيم صالحى ،المحلي في احتجاج :المواطنة و هي تبني حالة القبائل ،في إنسانيات ،العدد 03 ،وهران

2012،ص 94

كما نصت تلك المرحلة على محو الأمية والحق في العمل* تقدّمها الدولة، وذلك قصد وضع نوع من التوازن الطبقي وإذابة الفوارق الاجتماعية وينبغي التأكيد على أن الدستور الجزائري لم يعرف بصفة صريحة المواطنة بل كلّ المواد كانت تصبّ في مسألة الوطنية، مما يحيلنا إلى القول بأن المفهومين وجهان لعملة واحدة هي المصلحة العامة للوطن، ونورد بعض المواد من الدستور الجزائري التي نصت على هذا الشأن، جاء في المادة 61: "يجب على كلّ مواطن أن يحمي ويصون استقلال البلاد وسيادتها وسلامة ترابها الوطني وجميع رموز الدولة" ويضيف أيضا وحول أي خروقات اتجاه هذا الأمر وفي نفس المادة و"يعاقب القانون بكل صرامة على الخيانة والتجسس والولاء للعدوّ، وعلى جميع الجرائم المرتكبة ضدّ أمن الدولة، وهذا تكريسا لمبدأ الإعلاء لقيمة الوطن كقيمة أساسية لا يجب أن تتجاوزها أي قيمة، أما على المستوى المعنوي والإرشادي فيضيف الدستور بالقول في المادة : 62"وعلى كلّ مواطن أن يؤدّي بإخلاص واجباته تجاه المجموعة الوطنيّة، والتزام المواطن إزاء الوطن وإجبارية المشاركة في الدفاع عنه واجبان مقدّسان دائمان"، وهذا كإرشاد واعتراف من الشعب على ضرورة أن جميع مواطنينه يجب يتعاونوا ويتكاثفوا فيما بينهم، حيث لا يجب على المواطنين أن يوالي غير بعضهم البعض، لأن لا عزوة* المواطن إلا بلاده وشعبه... ويضيف بهذا الشأن أيضا وحول سلامة الوحدة لترابية للبلاد في المادة 13: "ولا يجوز البتة التنازل أو التخلّي عن أي جزء من التّراب الوطني"، وهذا كإقرار من الشعب على وحدة وتماسك بلاده ، وعن عدم التفريط فيها مطلقا**

* La constitution de la république Algérienne Démocratique et Populaire ,Edité En 1976,P19-20

** غزوة / عزوة ، قومٌ ينتسب إليهم الرّجل ويشدّون من أزره،وهي الانتساب كذلك والإغاثة
انظر دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية(الجريدة الرسمية رقم 76 المؤرخة في 08 ديسمبر 1996)

المعدّل بـ:

- قانون رقم 03-02 المؤرخ في 10 افريل 2002 الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14 افريل 2002
- قانون رقم 19-08 المؤرخ في 15 نوفمبر 2008 الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر 2008

د- التحديد الأنثروبولوجي لمفهوم المواطنة:

تهتم الأنثروبولوجيا بالجوانب التي يتداخل فيها البعد السياسي ببقية الأبعاد الاجتماعية الأخرى، فهي تركز على فعالية الممارسات والرموز في السلطة وفي هذه الحالة تصبح الفواصل بين أنثروبولوجيا التماثلات والأنثروبولوجية السياسية معدومة، لقد حاول هذا المنظور تقديم رؤية جديدة لمسألة المواطنة ،عندما تعرّضت إلى الفرد من زاوية مواطنة فلقد اعتبر " Marc Abélès"، أن روابط المواطنة تتراوح بين أشكال جماعية وأخرى فردانية، فهي في نظره تعدّ النقطة التي تلتقي فيها هذه الأشكال³⁸، ولإيضاح هذا المنظور اقترح الباحث ثلاثة حقول للبحث في ميدان أنثروبولوجية المواطنة :الحقل الأول يهتم بالكيفية التي يستعملها المواطنون في بناء أنظمة شرعية في علاقتهم بالوطن أما الحقل الثاني يبحث في الهويات الجماعية والفردانية والانتماءات الاجتماعية في علاقتها بالمواطنة أما الحقل الثالث فيبحث في علاقة المواطنين بالمكان و ذلك باعتبار هذا الأخير يعدّ مكانا ضروريا للفضاء العام .

هـ- المواطنة من الزاوية السيكلولوجية :

من منظور نفسي المواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن ،و من تمّ ترتبط بالأرض التي تعطي للمواطن الشعور بالأمن الاجتماعي والنفسي والإنساني بوجه عام بالتالي شعور المواطن يعطي صفة الإنسان وللقيادة السياسية دورا في هذا الإحساس لأنها مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات³⁹، وفي هذا السياق يقول أحد الباحثين: " المواطنون لا يولدون

على الرابط الإلكتروني – <http://www.elmouwatine.dz/?%D8%A7%D9%84>

³⁸ Marc Abélès & Henri-Pierre Jeudy, s. dir., *Anthropologie du politique*, Armand Colin, Paris, 1997,P74

³⁹ هلال فنيحي ، وآخرون، تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية، الكويت 2000 ، ص 25

و لكتهم يصنعون⁴⁰ " ، وذكر مجموعة من الممارسات التي تساهم في صنع لمواطن ومن بينها الحماية من شتى التهديدات والمخاطر، وتوفير الشعور بالأمان النفسي لمجمل أفراد المجتمع ، ويأخذ المفهوم من هذا الزاوية بعد وجداني متعلق بالتراث التاريخي المادي والمعنوي، وكل ما يضمه المفهوم الوطني الهوياتي للكلمة.

و- المفهوم العقائدي الإسلامي للمواطنة :

قبل أن نستعرض حوصلة عن أهم الآراء والمقاربات المختلفة للمفهوم الديني للمواطنة، يجب الإشارة إلى الخلاف الحاصل بين المستشرقين والباحثين العرب ، فالمستشرق برنارد لويس Bernard Lewis يرى أن المواطنة مفهوم غربي المنشأ ، وأنه لا يوجد مرادف لكلمة المواطنة في اللغة العربية وأن هذا المفهوم غريب عن الثقافة الإسلامية⁴¹، وخلافا لطرح برنارد لويس، يعتبر المفكر العربي محمد أركون* المواطنة: تعبير عن الصلة التي تربط الفرد المسلم

⁴⁰ Syssner Josefina ,No Space For Citizenship?, Conceptualisations of Citizenship in a functional Region, Citizenship studies, Vol 15 ,N° 1 ,February 2011

⁴¹ Bernard Lewis ,Islam and Democracy Liberal ,Journal of democracy ,Vol 7,1996,P52-62

* محمد أركون: فيلسوف عربي حدائي، ولد في الجزائر سنة 1928 بقرية تاويرت مجون بولاية تيزي وزو في منطقة القبائل الكبرى، نشأ في عائلة أمازيغية فقيرة، وذكر في مراسلاته الشخصية أن عائلته تركت موطنها الأصلي في قسنطينة وقصدت تاويرت مجون بحثا عن الحماية، عاش في فرنسا ودفن بالمغرب، آمن بما وراء الحداثة، لكنه شعر باليأس والإحباط من نظرة الأوربيين إليه كسلم تقليدي. كان ينتقد العقل الإسلامي بلسان فرنسي وبمقل استشرافي غربي، تولى عددا من الوظائف والمهام، حيث عمل أستاذا في العديد من الجامعات العالمية كجامعة السوربون تخصص التاريخ الإسلامي(1961-1969) ، وجامعة ليون (1970-1972)، وجامعة كاليفورنيا (1969)، وجامعة نيويورك (2001-2003)، حصل على العضوية في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن (1993-2010)، ولجنة تحكم في هيئة إدارة جائزة آغا خان للهندسة (1989-1989)، وعضو اللجنة القومية للأخلاق والرؤيا العالمية والصحة (1990-1998)، كما كان عضوا في اللجنة الدولية لجائزة اليونسكو لأصول تربية السلام لسنة 2002، وعضوا لجنة تحكم الجائزة العربية الفرنسية لسنة 2002، عضوا بالمجلس العلمي للمعهد السويدي بالإسكندرية، عمل مديرا علميا لمجلة "أريكا" ما بين (1979-2008) ، ومستشارا علميا لمكتبة الكونغرس بواشنطن (2000-2003)، ورئيس لجنة تحكم جائزة الشارقة الثقافية 2010 ، ألف باللغة الفرنسية العديد من الكتب أبرزها "الفكر العربي" ترجمه الدكتور عادل العوا إلى العربية، "الإسلام بين الأمس والغد" ترجمه علي مقلد، "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، "الإسلام والأخلاق والسياسة"، "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، و"استحالة التأصيل".

بالأمة"، ويتعلّق الأمر بمواطنين يعيشون داخل نسق المعتقدات الإسلامية التي يماثلها فعليا دعامات مؤسساتية⁴²، وما أضفى صفة القداسة والشرعية على المفهوم، أنه قد خصّ النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حب الوطن بالذكر في مواطن كثيرة جداً، ومن المعلوم حسب الكتاب والسنة أن من دافع عن وطنه فهو شهيد، ولقد جُبلت النفوس البشرية على حب المكان الذي نشأت فيه وترعرعت في جنباته، وحفظت في ذاكرتها تاريخه وتراثه، فالوطن ذاكرة الإنسان فيه الآباء والأجداد والأصحاب، أخرج الإمام الترمذي في سننه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»^{*}، وعند دراستنا للسيرة النبوية نجد أن رسولنا -صلى الله عليه وسلم- قد أحبّ وطنه مكة المكرمة كما جاء في الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^{**}، كما أحب النبي محمد المدينة المنورة، فقال: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ"^{***}، فقد أحبّ المسلمون أوطانهم اقتداءً بنبيهم محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي علّم

كما ألف "نزعة الأنسنة في الفكر العربي"، "من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي" و"معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية"، "قضايا في نقد العقد الديني"، و"العلمنة والدين" بالإضافة إلى مقالات ودراسات متعددة، توفي محمد أركون يوم 15 سبتمبر 2010 عن عمر ناهز الثمانين عاماً، ودفن بمقبرة الشهداء في العاصمة المغربية الرباط تنفيذاً لوصيته. (مقال عن محمد أركون بموقع الجزيرة نت الإلكتروني)

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2014/10/14>

Il. L'umma est en même temps, la société des croyants et la société des citoyens. Il s'agit des citoyens qui vivent à l'intérieur d'un système de croyances musulmanes auquel corresponds effectivement des supports institutionnels » passage original du livre de Mohammed Arkoun « L'islam, Religion et société », Edition du cerf, Paris, 1982, P31

^{*} حديث صحيح أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل مكة، كتاب PDF متوفر على

الزابط http://library.islamweb.net/Newlibrary/display_book

^{**} أبواب المناقب، باب فضل مكة الحديث 3926 أخرجه الترمذي وصحّحه الألباني

^{***} صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر، الحديث رقم 2452

الدنيا كلّها حب الأوطان والأماكن المباركة والوفاء لمسقط الرأس، ومن المعلوم أن الرسول الكريم قد علّم البشرية حبّ الوطن، حيث يتجلّى حبّه صلى الله عليه وسلم لمكة وحرصه على البقاء في كنفها وحرصه على ألاّ يبرحها، لولا أنّه أُخرج منها مضطراً مرغماً، والوطن هو المهدي الذي يترعرع فيه، كالأرض هي المنبت الذي لا بُدَّ منه للقوت والزرع والثمار، وما أحوجنا اليوم إلى تربية النشء على حبّ الوطن كما علمنا ديننا الإسلامي، ويتحقق حبّ الأوطان بغرس الانتماء الإيجابي للوطن، وتقدير خيرات الوطن ومعطياته، والمحافظة على مرافقه ومكتسباته، وقال فضيلة الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- في نفس السياق وبمقترب عقائدي إسلامي للتناول: «والبشر يألفون أرضهم على ما بها، ولو كانت قفراً مستوحشاً، وحبّ الوطن غريزة متأصلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوِجِم، ويغضب له إذا انتقص»⁴³، فالوطن له حقُّ علينا وواجبنا المحافظة عليه، كما قال الشاعر :

يا شباب العرب هيا نبن للأوطان مجداً

إنّ للأوطان حقاً دونها الأرواح تفدى*

وفي مقال بعنوان الوطن والوطنية يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس مؤسس جمعية العلماء بالجزائر: بهاتين الجملتين منذ سنين، توجّنا جريدة «المنتقد» الشهيرة، وجعلناها شعاراً لها تحملها في رأس كل عدد منها، هذه أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية، لا يستطيع أحد أن ينطق بها، وقليل جداً من يشعر بمعناها، وإن كان ذلك المعنى دقيقاً في كوامن النفوس ككلّ غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تُنسب إلى العروبة، وتدين بالإسلام

⁴³ مقال الكتروني تحت عنوان حب الوطن من الايمان تاريخ النشر: الجمعة 17 فبراير 2017

<http://www.alittihad.ae/details.php?id=10005&y=2017&article=full>

* تركي راجح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ،الجزائر ،2001،

مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد...⁴⁴، وانطلق العلامة ابن باديس من القول المأثور "حب الوطن من الإيمان"، إذ قال: "حب الوطن من الإيمان عبارة تجري دائما على ألسنة المسلمين، لأن معناها صحيح ثابت في الإسلام، فمن الإيمان أن تحب من أحسن إليك"⁴⁵، والوطن عند الشيخ عبد الحميد بن باديس ليس مجرد ثروات وخيرات مادية يتقاسمها الجماعات والأفراد فيما بينهم، ولكنه إلى جانب ذلك، تاريخ وحضارة وقيم وذكريات وآمال وطموح ويقتن الانتماء إلى الوطن عند العلامة ابن باديس بشرط علم تاريخه والمحافظة على شرف اسمه وسمعته، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه... "وكتب مقالا آخر في الشهاب تحت عنوان "الرجل المسلم الجزائري" قائلا: إنما ينسب إلى الوطن أفراد الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل فالذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون..."⁴⁶، ونورد في السياق المفاهيمي جدولا يوضح مفهوم المواطنة من رؤى وأبعاد سياقية متباينة.

⁴⁴ راجع تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،مرجع سبق ذكره ،

ص 160

⁴⁵ تركي راجع ، المرجع نفسه ،ص 284

⁴⁶ تركي راجع ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،مرجع سبق ذكره ،

ص 284

الشكل (أ) يوضح مفهوم المواطنة من رؤى مختلفة *

منظور روحي	حب الوطن والاعتزاز بالانتماء إليه والاستعداد للتضحية من أجله و في سبيله (الوطنية)	تميزها عن الارتباطات المادية والبراغماتية الأخرى
منظور قانوني	رابطة قانونية يتمتع الداخلون ضمنها بنفس الحقوق المتساوية	القضاء على الامتيازات الفئوية والتراتبية والسيطرة بين أعضاء المجتمع
منظور سياسي	المواطنة تتضمن حق(واجب أو فضيلة) ، المشاركة السياسية و القدرة على التحكم	تكريس الفعالية في مقابل كل شكل وصور التبعية للإرادة السياسية لطرف آخر
منظور الهوية	المواطنة تعبر عن انتساب أو عضوية الأفراد في جماعة معينة تتضمن معاني تقاسم هوية جماعية	التمييز عن الآخرين الذين لا يشاركونهم القيم والتقاليد و العادات الثقافية
منظور اجتماعي	المواطنة تتضمن حزمة من الحقوق الممنوحة للأشخاص في إطار كيان اجتماعي	تمييز الذين لا يساهمون في الناتج الوطني، والذين لا يستطيعون الاستفادة من هذه الحقوق
منظور ثقافي	المواطنة تتضمن المعنى الثقافي لنمط الحياة الذي يكرس لعالم الأفكار و الفن و العلوم ... و الذي يرتبط بالفضاء الحضري للمدينة	يرسم حدودا بين طبقة الأفراد غير المتعلمين وغير المتحضرين وغير القادرين وغير الراغبين في مشاركة رأس المال الثقافي للكيان السياسي
منظور وظيفي	المواطنة توزيع للحقوق والواجبات بين الدولة والمواطن من أجل الحفاظ على استمرار المجتمع و تحقيق التنمية	التمييز بين المواطن الفاعل والمواطن غير الفاعل

* انظر :تم إعداد هذا الشكل ارتكازا على المصدرين :

- منير مباركة ، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة و حالة المواطنة في الجزائر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ص 73. و Ulrich,K,Preuss,The Ambiguous Meaning Of Citizenship,Paper Presented At The University Of Chicago,Law School To The Center For Comparative Constitutionalism ,1 December 2003,P14

منظور بيئي	تتعلق بالحق في بيئة سليمة و نظيفة و بالواجبات التي تتلازم مع هذا الحق	رابطة قانونية يتمتع بها الداخلون ضمنها بنفس الحقوق المتساوية
---------------	---	---

و خلاصة لكل ما سبق من رصف ورصد مفاهيمي للمواطنة نورد واحد من التعريفات المرجعية التي قدّمت لمفهوم المواطنة والذي يغطي غالبية الأبعاد المفاهيمية كما يراعي طبيعته الإجرائية ، للباحث عثمان محمد الخشت : "المواطنة هي الانتماء إلى الوطن انتماء يتمتع المواطن فيه بالعضوية الكاملة الأهلية على نحو يتساوى فيه مع الآخرين الذين يعيشون في الوطن نفسه مساواة كاملة في الحقوق والواجبات، وأمام القانون، دون تمييز بينهم على أساس اللون، أو العرق أو الفكر أو الدين أو الموقف المال أو الانتماء السياسي، ويحترم كل مواطن المواطن الآخر، كما يتسامح الجميع تجاه بعضهم البعض رغم التنوّع والاختلاف بينهم⁴⁷، ويعكس هذا التعريف الجوانب المهمة في المفهوم المعاصر الاستحدثي، وهي الجوانب التي اكتسبها المفهوم عبر مراحل تطوّره التاريخي والتي أفرزت عدّة أوجه للمواطنة ، المواطنة المدنية ، المواطنة السياسية ، المواطنة الاجتماعية ، المواطنة الثقافية الاتصالية، المواطنة البيئية والتي تعتبر موضوعا حداثيا قيد الدراسة والطرح والتمحيص .

⁴⁷ محمد عثمان الخشت ، تطوّر المواطنة في الفكر السياسي الغربي ، التسامح العدد 30 ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط 2007